وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامـعـــة القـادسيـــة
كـلـيـة التربية
قسم التاريخ
الدراسة المسائية

الخلفية المعز لدين اللّه الفاطمي

((دراسة تاريخية))

بحث تقدم به الطالبة

خلود فرحان جواد

الى مجلس كلية التربية / قسم التاريخ

كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في كلية التربية قسم التاريخ

بإشراف

الاستاذ المساعد

حمدية صالح الجبوري

للعام الدراسي

1438 هـ 2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الاسراء ((الآية 7))

الإهداء

إلى

وطني الحبيب و شهداء العراق والواجب

والى

كل من ضحى من اجل امن وامان هذا الوطن الحبيب

وإلى

كل من ساعدنا في العلم والمعرفة

الى

والدي الحبيب ووالدتي الحبيبة

والى

أساتذة كلية التربية كافة وبالخصوص قسم التاريخ وبالخصوص الأستاذة المشرفة

لما بذلته من جهد في توجيهي وله الشكر والتقدير

أوجه لهم تحياتي وجهدي المتواضع . . لكم منا التحية

الباحثة

الشكر والتقدير

أقدم شكري وتقديري الى كل من ساهم في انتاج هذا الجهد المتواضع واخص بالذكر الأستاذة المشرفة (**حمدية صالح الجبوري**) والى كافة الأساتذة في التربية قسم التاريخ واخواني الطلبة والى شعب العراق الحبيب .

المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
الآية	أ
الاهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
المحتويات	د
المقدمة	هـ ، ز ، و
المبحث الاول نسبه ، ولادته ، مماته ، صفاته ، حياته	12 – 1
المبحث الثاني (طبيعة خلافته ، الخلافة العباسية ، الامارات المجاورة ، احوال البلاد)	23 – 13
المبحث الثالث (احوال البلاد ، السياسة ، الحياة الاقتصادية ، الاحوال الاجتماعية)	28 – 24
الخاتمة	29
المصادر	31 – 30

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق محمد وعلى ال بيته الكرام الميامين الاطياب صلواة الله عليهم اجمعين اما بعد ..

الدَّوْلَةُ الفَاطِمِيَّةُ أو الخِلَافَةُ الفَاطِمِيَّةُ أو الدَّوْلَةُ العُبَيْدِيَّةُ هي إحدى دُولُ الخِلافةُ الإسلاميَّة، والوحيدةُ بين دُولِ الخِلافةِ التي اتخذت من المذهب الشيعي) ضمن فرعه الإسماعيلي(مذهبًا رسميًّا لها. قامت هذه الدولة بعد أن نشط الدُعاة الإسماعيليّون في إذكاء الجذوة الحُسينيَّة ودعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهديّ المُنتظر، الذين تنبؤوا جميعًا بظُهوره في القريب العاجل، وذلك خلال العهد العبَّاسي فأصابوا بذلك نجاحًا في الأقاليم البعيدة عن مركز الحُكم خُصوصًا، بسبب مُطاردة العبَّاسيين لهم واضطهادهم في المشرق العربي، فانتقلوا إلى المغرب حيثُ تمكنوا من استقطاب الجماهير وسط قبيلة كتامة البربريَّة خصوصًا، وأعلنوا قيام الخِلافةِ بعد حين. شملت الدولة الفاطميَّة مناطق وأقاليم واسعة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فامتدَّ نطاقها على طول الساحل المُتوسطيّ من المغرب إلى مصر، ثُمَّ توسَّع الخُلفاء الفاطميّون أكثر فضمّوا إلى مُمتلكاتهم جزيرة صقلية، والشَّام، والحجاز، فأضحت دولتهم أكبر دولةٍ استقلَّت عن الدولة العبَّاسيَّة، والمُنافس الرئيسيّ لها على زعامة الأراضي المُقدَّسة وزعامة المُسلمين.

رغم قلة المصادر التي تناولت هذه الحقبة من التاريخ فقد كانت صعوبة الحصول على المصادر الصريحة التي تتناول وبشكل مباشر شخصية المعز للدولة الفاطمي هي المشكلة الرئيسية للباحثة وقد اختلفت المصادر التاريخيَّة حول تحديد نسب الفاطميين، فمُعظم المصادر الشيعيَّة تؤكِّد صحَّة ما قال به مؤسس هذه السُلالة، الإمام عُبيد الله المهدي بالله، وهو أنَّ الفاطميين يرجعون بنسبهم إلى مُحمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق، فهُم بهذا عَلَويّون، ومن سُلالة

الرسول مُحمَّد عبر ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخُلفاء الرَّاشدين الإمام عليّ بن أبي طالب .بالمُقابل، أنكرت مصادر أُخرى هذا النسب وأرجعت أصل عُبيد الله المهدي إلى الفُرس أو اليهود .أسس الفاطميّون مدينة المهدية في ولاية إفريقية سنة300 هـ المُوافقة لِسنتيّ913 – 912 م، واتخذوها عاصمةً لدولتهم الناشئة، وفي سنة336 هـ المُوافقة لِسنة948 م، نقلوا مركز الحُكم إلى مدينة المنصوريَّة، ولمَّا تمَّ للفاطميين فتح مصر سنة358 هـ المُوافقة لِسنة969 م، أسسوا مدينة القاهرة شمال الفسطاط، وجعلوها عاصمتهم، فأصبحت مصر المركز الروحيّ والثقافيّ والسياسيّ للدولة، وبقيت كذلك حتّى انهيارها.

أظهر عددٌ من الخُلفاء الفاطميّون تعصُّبهم للمذهب الإسماعيلي، فعانى أتباع المذاهب والديانات الأُخرى خِلال عهدهم، وبالمُقابل اشتهر غيرهم بتسامحه الشديد مع سائر المذاهب الإسلاميَّة ومع غير المُسلمين من اليهود والنصارى الأقباط واللاتين والشوام من رومٍ وسُريانٍ وموارنة، واشتهر الفاطميّون أيضًا بقدرتهم على الاستفادة من كافَّة المُكونات البشريَّة لدولتهم المُنتمية لتكتُلاتٍ عُنصريَّة مُتنوِّعة، فاستعانوا بالبربر والتُرك والأحباش والأرمن في تسيير شؤون الدولة، إلى جانب المُكوِّن العُنصري الرئيسي، أي العرب.

شكَّل العصر الفاطمي امتدادًا للعصر الذهبي للإسلام، لكنَّ قُصور الخُلفاء لم تحفل بالعُلماء والكُتَّاب البارزين كما فعلت قُصور بغداد قبلها. وكان الجامع الأزهر ودار الحكمة مركزين كبيرين لنشر العلم وتعليم أُصول اللُغة والدين. وأبرز عُلماء هذا العصر كان الحسن ابن الهيثم كبير عُلماء الطبيعيَّات، والأخصَّائي بعلم البصريَّات، وقد جاوزت مؤلَّفاته المائة في الرِّياضيَّات وعلم الفلك والطب أخذت الدولة الفاطميَّة تتراجع بسُرعةٍ كبيرة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فاستبدَّ الوُزراء بالسُلطة وأصبح اختيار الخُلفاء بأيديهم. وكان هؤلاء الخُلفاء غالبًا من الأطفال أو الفتيان، واختلف عددٌ كبيرٌ من

الوزراء مع قادة الجيش ووُلاة الأمصار ورجال القصر، فعاشوا في جوٍ من الفتن والدسائس، تاركين الناس يموتون من المجاعة والأوبئة المُتفشية .وخلال ذلك الوقت كانت الخِلافة العبَّاسيَّة قد أصبحت في حماية السلاجقة، الذين أخذوا على عاتقهم استرجاع الأراضي التي خسرها العبَّاسيّون لصالح الفاطميين، ففتحوا شمال الشَّام وسواحلها وسيطروا عليها لفترةٍ من الزمن قبل أن يستردَّها الفاطميّون، لكنَّها لم تلبث بأيديهم طويلًا، إذ كانت الحملة الصليبيَّة الأولى قد بلغت المشرق، وفتح المُلوك والأُمراء الإفرنج المُدن والقلاع الشاميَّة الواحدة تلو الأُخرى، وبلغ أحد هؤلاء المُلوك، وهو عمّوري الأوَّل أبواب القاهرة وهددها بالسُقوط. استمرَّت الدولة الفاطميَّة تُنازع حتّى سنة 1171 م عندما استقلَّ صلاح الدين الأيوبي بمصر بعد وفاة آخر الخُلفاء الفاطميين، وهو أبو مُحمَّد عبدُ الله العاضد لدين الله، وأزال سُلطتهم الإسميَّة بعد أن كانت سُلطتهم الفعليَّة قد زالت مُنذُ عهد الوزير بدر الدين الجمالي.

وقد قسم البحث الى ثلاث مباحث تناولنا في هذا المبحث الاول نسب وولادة ووفاة وصفاة وحياة المعز لدين الله الفاطمي ، واما المبحث الثاني فقد تناولنا طبيعة خلافته والخلافة العباسية والامارات المجاورة لها واما المبحث الثالث فقد كان يتضمن احوال البلاد والسياسة والحياة الاقتصادية والقضايا الاجتماعية.

المبحث الأول

نسبه ، ولادته ، مماته ، صفاته ، حياته

نسب المعز لدين:-

أُثيرت حول أُصول الفاطميين عدَّة قضايا مُعقَّدة لم يصل الباحثون فيها إلى نتائج مُوحدة. فهذا اللقب، أي «الفاطميين» الذي عُرف به خُلفاء عُبيد الله المهدي، يدُلُّ، للوهلة الأولى، على أنَّهم من ذُريَّة عليّ بن أبي طالب رابع الخُلفاء الراشدين وأوَّل أئمة الشيعة، وفاطمة الزهراءبنت الرسول مُحمَّد، فهُم عَلَويّون. على أنَّ قضيَّة نسب الأُسرة الفاطميَّة، كان ولا يزال، موضوعًا لم يتفق المؤرخون، لا في الماضي ولا في الحاضر، على رأيٍ واحدٍ فيه، وذلك بفعل واقعين [1]:

الأوَّل هو التباين السياسي والمذهبي الذي ساد بين المُسلمين بعد وفاة الرسول، والثانيهو امتناع الفاطميين، مُدَّةً من الزمن، عن إعلان أنسابهم، بالإضافة إلى تعمُّدهم إخفاء أسماء أئمتهم من مُحمَّد بن إسماعيل حتّى عُبيد الله المهدي في المُدَّة التي اتخذوا فيها مبدأ ستر الإمام [2].وذهب كُلُّ مصدر مذهبًا خاصًّا في تحديد إسم ونسب عُبيد الله المهدي قبل أن يكون مهديًّا، وبعد أن صار كذلك. فبعضُ المصادر تنفي عنه النسب العَلَوي، وتعزوهُ إلى الفُرس أو المجوس، وتصفه أحيانًا بأنَّه ابن يهودي، وترجع في نسبه إلى ميمون القدَّاح فارسيّ الأصل. وهي وإن اختلفت في تحديد اسمه قبل استلامه رئاسة الدعوة الفاطميَّة، إلَّا أنَّها تتفق على أنَّ اسمه بعد أن أصبح رئيسًا للفاطميين هو عُبيد الله، وعلى هذا الأساس دعت هذه المصادر الدولة الفاطميَّة باسم

---

(1) أمين، محمود حُسين ، بنو ملاعب في التاريخ ، الطبعة الأولى ، دار الروضة ، بيروت ، 1998 ، ص 26 - 27.

(2) حسن ، إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ، المعز لدين الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964م ، ص 17 .

«الدولة العُبيديَّة». وفي المُقابل تؤكد مصادر أُخرى، مُعظمها شيعيَّة، صحَّة نسب عُبيد الله المهدي، وتُرجعه إلى مُحمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق.

معد المعز لدين الله، المعز أبو تميم معدّ بن منصور) المهدية حوالي 932- القاهرة (975 هو رابع الخلفاء الفاطميين في إفريقية)تونس حالياً) وأول الخلفاء الفاطميين في مصر .والإمام الرابع عشر من أئمة الإسماعيلية حكم من 953 حتى 9755. وقد أرسل أكفأ قواده وهو جوهر الصقلي للاستيلاء على مصر من العباسيين فدخلها وأسس مدينة القاهرة بالقرب من الفسطاط، والتي تعتبر أول عاصمة للعرب في مصر.[1]

كانت شخصية المعز لدين الله من أبرز الشخصيات في تاريخ الدعوة الإسماعيلية عامّة وتاريخ الدولة الفاطمية خاصة. وكان أعظم خلفاء الفاطميين لأنه قام بتوطيد سيادة الدولة على جميع أرجاء الشمال الإفريقي وتوسيع رقعتها حتى بلغت من أول الديار المصرية إلى المغرب الأقصى. ثم حول أنظاره إلى مصر في أخريات أيام خلافته وجهز أبا الحسن جوهرا قائدًا للخروج إليها بالجيش الكثيف والأموال الوفيرة. فكان فتح الديار المصرية على يد القائد جوهر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . وبعد أربع سنوات[2] ، أي في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، انتقل المعز لدين الله من المغرب إلى العاصمة الجديدة التي تنسب إليه ، فتسمّى القاهرة المعزية، لأن الذي بناها له هو القائد جوهر، فصارت مصر دار الخلافة الفاطمية للقرنين التاليين حتى أزالها صلاح الدين الأيوبي سنة سبع وستين وخمسمائة. فيمثل عصر المعز لدين الله دورين مختلفين، هما: الدور المغربي الذي دانت فيه لسلطانه بلاد المغرب وجزيرة صقلية، والدور المصري الذي تم فيه فتح مصر والشام، وأخذ النفوذ الفاطمي يمتدّ إلى

(1) أيمن فؤاد السيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية للنشر ، القاهرة ، 1992م ، ص 28 .
(2) اسماعيل قربان حسين ، ادعية الايام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، دار المغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص 7 .

العراق وجزيرة العرب، وخطب له في الحرمين الشريفين ، مكة والمدينة، وانتشرت الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس و اليمن وفي الهند. ويعدّ عصر المعز من أزهى العصور للدولة الفاطمية وكان حافلاً بمظاهر القوة والعظمة. ولمّا توغلت جيوشه في بلاد الشام وهدّدت بغداد، عاصمة العباسيين في ذلك الحين، أحسست الدولة العبّاسية بالخطر على نفسها. و استطاع المعز لدين الله أن ينظم هذا الملك الواسع بما سنه من النظم الإدارية الحازمة. ولم يكتف بذلك [1]، بل نهض بالجانب العلمي والأدبي والثقافي حتى أصبحت العاصمة المنصورية في المغرب، ثم القاهرة في مصر، كعبة للعلماء والشعراء وطلاب العلم والمستجيبين للدعوة الإسماعيلية.

رأي بان نسب الفاطميين إلى عليّ وفاطمة (عليهما السلام):-

وفقًا لما ذكره المؤرِّخ ڤلاديمير إيڤانوف في بحثه عن تُراث الإسماعيليَّة المُتعلِّق بظهور الفاطميين، فإنَّ إسم الفاطميين هو الذي أُطلق على الإسماعيليَّة في بداية الأمر .ويذكُرُ الطبريُّ أنَّ بدو بني الأصبغ في بادية الشَّام، اتخذوا هذا الاسم تحت زعامة القُرمطي الإسماعيلي يحيى بن زكرويه .ويُمكنُ التماس أُصول الحركة الفاطميَّة التي أوصلت الفاطميين إلى السُلطة في إفريقية بزعامة عُبيد الله المهدي في أُصول العقائد الشيعيَّة الإسماعيليَّة التي تُمثِّلُ في الوقت نفسه أبعادًا سياسيَّة وفلسفيَّة ودينيَّة واجتماعيَّة، والتي يتوقَّع مُعتنقوها ظُهور المهدي المُنتظر من سُلالة الرسول مُحمَّد من خلال عليّ وفاطمة مُرورًا بفرع إسماعيل بن جعفر الصَّادق .والواضح أنَّ إسماعيل بن جعفر الصَّادق الذي توفي في حياة أبيه، كان أوسع نشاطًا من إخوته، وأعظمهم تأثيرًا في بناء العمل السياسي للشيعة الإسماعيليين، واتبع مبدأ التقيَّة، فعمل في خفاءٍ تامٍّ، وأحسن اختيار دُعاته وبخاصَّةً مُحمَّد بن أبي زينب مِقلس الأجدع الأسدي

(1) اسماعيل قربان حسين ، ادعية الايام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، دار المغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص 7 .

المعروف بأبي الخطَّاب، الذي ادَّعى أنَّ الإمام جعفر الصَّادق جعلهُ قيِّمًا ووصيًّا على إبنه. ووضع إسماعيل بمُساعدته أُسس المذهب الإسماعيلي، وهو أوَّل من تصوَّر الإمامة الشيعيَّة على أنَّها سيادة العالم الإسلامي، أي أنَّهُ حوَّل الإمامة إلى معنى سياسيّ شبيه بالخِلافة، ووضع الخِطط السريَّة للوُصول إلى الحُكم [1].

وضبط مُحمَّد بن إسماعيل المذهب، ونظَّم الدعوة في عهد الخُلفاء العبَّاسيين :أبو عبدَ الله مُحمَّد المهدي، وأبو مُحمَّد موسى الهادي، وبداية عهد هٰرون الرشيد بمُساعدة حُجَّته ميمون القدَّاح الذي تقول عنه المصادر السُنيَّة أنَّه الديصاني ثنويّ المذهب، الذي أسلم أو أظهر الإسلام مدفوعًا بعاملين: سياسي يتمثَّل بإعادة النُفوذ إلى الفُرس عن طريق الشيعة، وديني يهدف إلى هدم الدين الإسلامي عن طريق الفلسفة الإغريقيَّة، وانتسب إلى الدَّعوة الإسماعيليَّة وأضحى من كبار الدُعاة. ويُرجع الإسماعيليّون نسبه إلى الصَّحابيّ سلمان الفارسيّ.[2]وطوَّر أُسس المذهب، ووضع الخِطط التي أوصلت الفاطميين إلى الحُكم، ونظرًا لأنَّه كان أحد تلامذة الفلسفة الإغريقيَّة، فقد استغلَّ التعاليم الأرسطاليسيَّة والأفلاطونيَّة لوضع التعاليم الإسلاميَّة في قالبٍ جديدٍ، وأسس حركةً سريَّةً لإحاطة الأئمَّة بستارٍ كثيفٍ [3] .ويبدو أنَّ الإقامة في المدينة المُنوَّرة أو عاصمة الخِلافة، أو أيُّ حاضرة من الحواضر المشرقيَّة أضحت مُستحيلة بعد حملة الاعتقالات التي نفَّذها الخليفة هٰرون الرشيد، فغادر مُحمَّد بن إسماعيل إلى فرغانة ثُمَّ نيسابور حيثُ تزوَّج وأنجب ابنه عبدُ الله الرضيّ الذي تولّى الإمامة بعده، ونصب له حجبًا وأمرهم بأن يتسمّوا باسمه للتستّر عليه . وخلف ميمون

---

(1) الشهرستاني ، مُحمَّد عبدُ الكريم ، تحقيق عبدُ العزيز مُحمَّد الوكيل ، الملل والنحل ، الجزء الثاني ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، 1968 ، ص 179 - 180.

(2) شبارو ، عصام محمد ، الدولة العربيَّة الإسلاميَّة الأولى ، الطبعة 3 ، بيروت - لبنان ، دار النهضة العربيَّة ، 1995 ، ص 375.

(3) ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمالُ الدين يُوسُف بن الأمير سيفُ الدين ، قدَّم له وعلَّق عليه ، مُحمَّد حُسين شمسُ الدين ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ، القاهرة - مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب ، 1992م ، ص 356 .

القدَّاح بعد وفاته ابنه عبدُ الله، وكان حجَّة للإمام عبدُ الله الرضيّ بن مُحمَّد بن إسماعيل، فتابع عمل أبيه، واستطاع أن يجمع مُعظم الفِرق العَلَويَّة المُنقسمة على نفسها في جبهةٍ واحدة، وضمَّ إلى جماعته كُلُّ العناصر السَّاخطة على العبَّاسيين ليُشكِّل منهم جماعة تُخلص لإسماعيل بن جعفر، مدفوعًا بشعوبيَّته الفارسيَّة المُتطرِّفة ضد العرب، ثُمَّ نقل مقرُّ الدعوة والإمام عبدُ الله الرضيّ وابنه أحمد إلى مدينة الأحواز .وعندما انتقل الإمام إلى بلدة سلميَّة في الشَّام بينحمص وحماة في أواخر عهد الخليفة العبَّاسي أبو جعفر عبدُ الله المأمون خشيةً من مُلاحقة العبَّاسيين له، ظلَّ حُجَّته عبدُ الله القدَّاح يُقيم في الأحواز تستُرًا عليه، ثُمَّ لحق به إلى سلميَّة التي أضحت مركز الدعوة الإسماعيليَّة .[1]

وقد كان الخليفة المعز لدين الله مؤلف الأدعية والرسائل الأخرى معتقدين أن هذه الأعمال الأدبية صدرت إما من بعض الدعاة أو كتاب ديوان الإنشاء والمكاتبات ثم نسبت إلى الخليفة المعز[2]. صحيح أن ليس لدينا أي دليل قطعي لإثبات هذا الرأي أو ذاك، ولكن نريد أن نوكد على الجانب العلمي والأدبي للخليفة والذي جعله كاتبا ومؤلفا لهذه الأدعية والرسائل الأخرى. وبغض النظر عن المصادر الفاطمية التي يقال عنها إنها متحيزة وتبالغ في مدح شخصية الأئمة، فالمصادر الستية التي في أيدينا تصرح بصراحة أن الخليفة المعز لدين الله كان يُعدّ من كبار شخصيات عصره[3]، فاق أقرانه ومنافسيه علما وأدبا وسياسة. وكان يجيد عدّة لغات، وكان ذا ولع بالعلوم ودراية بالأدب، فضلاً عمّا غرف به من حسن التدبير واحكام الامور .

(1) ابن فهد ، عُمر بن مُحمَّد المكّي ، تقديم حُسين فيَّض الله الهمذاني ، نسب الخُلفاء الفاطميين ، ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، القاهرة – مصر ، 1958 ، ص 10 - 11.

(2) اسماعيل قربان حسين ، ادعية الايام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، دار المغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص 8 .

(3) اسماعيل قربان حسين ، ادعية الايام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، دار المغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص 8 .

وقد ذكر المقريزي ، وهو شيخ مؤرّيخي مصر الإسلامية دون منازع ممّا جعل كتبه المصدر الأصيل في تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها وخططها وآثارها وعلمائها وأعيانها، يقول :

وكان قيصر ومظفر الصقلبيان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والمعزّ، وكان المظفر يدل على المعز لأنه علّمه الخط وهو صغير. فاتفق أنه خرد يوما، فسمعه **المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب بها. فأخذ المعز نفسه بحفظ اللغات، فابتدأ** بالبربرية فأحكمها، ثم بالرومية، ثم بالسودانية، ثم استدعى الصقلبية . "

فإن دل هذا القول على شيء فهو يدل على أن المعز كان يجيد[1]، بالإضافة إلى اللغة العربية، عدّة لغات أخرى، مثل اللغة البربرية، واللغة السودانية، واللغة الصقلبية .

وكان المعز عاقلاً، حازمًا، أديبا، جواذا، ممدّ خا، فيه عدل وإنصاف للرعية. فمن عدله 1 ما] يُحكى عنه أن زوجة الإخشيد الذي كان ملك مصر، لمّا زالت دولتهم أودعت عند يهودي بغلطاقة" كله جوهر. ثم فيما بعد طالبته فأنكر .فأتت المرأة إلى قصر المعز، فأذن لها، فأخبرته بأمرها. فأحضره .فسلمه المعز بكامله للمرأة[2] . فاجتهدت أن يأخذه المعز هدية أو بثمن. فلم يفعل. فقالت : " يا مولاي ، هذا كان يصلح لي وأنا صاحبة مصر، وأمّا اليوم فلا. " فلم يقبله المعز، وأخذت وانصرفت. وكان المعز قد أتقن فنونا من العلم والأدب[3].

ولادته:-

---

(1) اسماعيل قربان حسين ، ادعية الايام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، دار المغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص 9 .

(2) ابن الأثير، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشِّيباني ، تحقيق : أبو الفداء عبدُ الله القاضي (الكامل في التاريخ، الجزء التاسع) الطبعة الأولى) ، دار الكُتب العلميَّة ، بيروت – لُبنان ، 1987م ، ص 350.

(3) اسماعيل قربان حسين ، ادعية الايام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، دار المغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص 10 .

معد المعز لدين الله، المعز أبو تميم معدّ بن منصور هو رابع الخلفاء الفاطميين في إفريقية وأول الخلفاء الفاطميين في مصر. والإمام الرابع عشر من أئمة الإسماعيلية حكم من 953 حتى 975.

في عام 490 ولد عاشر خلفاء الدولة الفاطمية في مصر (الآمر بأحكام الله ابو علي المنصور) حيث بويع بالخلافة ولم يبلغ الخامسة من العمر وبقي يسيّر امور مصر من الثاني من ذي العقدة عام 524 هـ أثر مقتله على يد مجموعة من افراد القبائل المصرية اثناء عودته من مدينة الهودج الى القاهرة والفاطميون سلالة تنتسب الى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء عليها السلام. حيث قامت اول امرها في تونس ثم اخضعت الشمال الافريقي كله ثم مصر في عهد المعز لدين الله الذي مدّ حدود الدولة على شواطئ الاطلسي وارسل قائده جوهر فاحتل مصر 969 م وانشأ باسمه مدينة القاهرة وبسط نفوذه على سورية وفلسطين ولبنان[1]، وفي زمن الفاطميين بلغت الثقافة الاسلامية في عهدهم اوجها فشجعوا العلم والادب والفلسفة واستدعوا العلماء الى مصر من الخارج وفرّغوهم للعلم وكان عدد الحكام الفاطميين اربعة عشر حاكماً اولهم عبد الله المهدي وآخرهم العاضد لدين الله.

(1) ابن الأثير، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشِّيباني ، تحقيق: عبدُ القادر أحمد طليمات ، (التاريخ الباهر في الدولة الأتابكيَّة) ، الطبعة الثانية ، القاهرة - مصر: دار الكُتب الحديثة ، 1995 ، ص 156.

تبوئه منصب الخلافة:-

ولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية في سنة 341هـ= 952م خلفا لأبيه المنصور أبي طاهر إسماعيل، الخليفة الثالث في قائمة الخلفاء الفاطميين، وكان المعز رجلا مثقفا يجيد عدة لغات مولعا بالعلوم والآداب متمرسا بإدارة شئون الدولة وتصريف أمورها كيسا فطنا يحظى باحترام رجال الدولة وتقديرهم.

وانتهج المعز سياسة رشيدة، فأصلح ما أفسدته ثورات الخارجين على الدولة، ونجح في بناء جيش قوي، واصطناع القادة والفاتحين وتوحيد بلاد المغرب تحت رايته وسلطانه ومد نفوذه إلى جنوب إيطاليا.[1]

ولم تغفل عينا المعز لدين الله عن مصر، فكان يتابع أخبارها، وينتظر الفرصة السانحة لكي يبسط نفوذه عليها، متذرعا بالصبر وحسن الإعداد، حتى يتهيأ له النجاح والظفر.

حالة مصر الداخلية قبل الفتح :-

كانت مصر خلال هذه الفترة تمر بمرحلة عصيبة، فالأزمة الاقتصادية تعصف بها والخلافة العباسية التي تتبعها مصر عاجزة عن فرض حمايتها لها بعد أن أصبحت أسيرة لنفوذ البويهيين الشيعة، ودعاة الفاطميين يبثون دعوتهم في مصر يبشرون أتباعهم بقدوم سادتهم، وجاءت وفاة كافور الأخشيد سنة (357هـ=968م) لتزيل آخر عقبة في طريق الفاطميين إلى غايتهم، وكان كافور بيده مقاليد أمور مصر، ويقف حجر عثرة أمام طموح الفاطميين للاستيلاء عليها.[2]

وحين تولى زمام الأمور أبو الفضل جعفر بن الفرات ولم تسلم له قيادة مصر، وعجز عن مكافحة الغلاء الذي سببه نقص ماء النيل، واضطربت الأحوال، وضاق الناس

---

(1) أيمن فؤاد السيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1992م ، ص 58.

(2) جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف للنشر ، القاهرة ، 1967م ، ص 60 .

بالحكم، كتب بعضهم إلى المعز يزينون له فتح مصر ولم يكن هو في حاجة إلى من يزين له الأمر؛ إذ كان يراقب الأوضاع عن كثب، ويمني نفسه باللحظة التي يدخل فيها مصر فاتحا، فيحقق لنفسه ما عجز أجداده عن تحقيقه.

المشاكل السياسية التي واجهها:-

كانت مصر خلال هذه الفترة تمر بمرحلة عصيبة، فالأزمة الاقتصادية تعصف بها والخلافة العباسية التي تتبعها مصر عاجزة عن فرض حمايتها لها بعد أن أصبحت أسيرة لنفوذ البويهيين الشيعة، ودعاة الفاطميين يبثون دعوتهم في مصر، وجاءت وفاة كافور الأخشيد سنة(357 هـ - 968م) لتزيل آخر عقبة في طريق الفاطميين إلى غايتهم، وكان كافور بيده مقاليد أمور مصر، ويقف حجر عثرة أمام طموح الفاطميين للاستيلاء عليها. [1]

كان أمل الفاطميين التوسع شرقا ومجابهة الخلافة العباسية للقضاء عليها، وإذا كانت دعوتهم قد أقاموها في أطراف العالم الإسلامي حتى تكون بعيدة عن العباسيين، فإن ذلك لم يعد مقبولا عندهم بعد أن قويت شوكتهم واتسع نفوذهم، وأصبحت الفرصة مواتية لتحقيق الحلم المنشود، والتواجد في قلب العالم الإسلامي[2].

وقد بدأ الفاطميون منذ سنة (355هـ= 966م) استعدادهم للانتقال إلى مصر، واتخاذ الإجراءات التي تعينهم على ذلك، فأمر المعز بحفر الآبار في طريق مصر، وبناء الاستراحات على طوال الطريق، وعهد إلى ابنه "تميم" بالإشراف على هذه الأعمال.

أرسل المعز لدين الله إلى مصر واحدا من أكفأ قادته ألا وهو جوهر الصقلي الذي نجح من قبل في بسط نفوذ الفاطميين في الشمال الأفريقي كله وخرج المعز في

---

(1) عمران، محمود سعيد ، معالم التاريخ الإسلامي الوسيط ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربيَّة ، بيروت – لُبنان ، 1998 ، ص 166.

(2) شبارو، عصام محمد ، الدولة العربيَّة الإسلاميَّة الأولى ، الطبعة 3 ، دار النهضة العربيَّة ، بيروت-لبنان ، 1995م ، ص 375.

وداعهم في 14 من ربيع الأول 358هـ = 4 من فبراير 969م ولم يجد الجيش مشقة في مهمته ودخل عاصمة البلاد في 17 من شعبان 358هـ= 6 يوليو 9699م دون مقاومة تذكر، وبعد أن أعطى الأمان للمصريين.

رأى جوهر الصقلي أن الوقت قد حان لحضور الخليفة المعز بنفسه إلى مصر، وأن الظروف مهيأة لاستقباله في القاهرة عاصمته الجديدة فكتب إليه يدعوه إلى الحضور وتسلم زمام الحكم فخرج المعز من المنصورية عاصمته في المغرب وكانت تتصل بالقيروان في 21 من شوال 361 هـ= 5 من أغسطس 9722م وحمل معه كل ذخائره وأمواله حتى توابيت آبائه حملها معه وهو في طريقه إليها واستخلف على المغرب أسرة بربرية محلية هي أسرة بني زيري، وكان هذا يعني أن الفاطميين قد عزموا على الاستقرار في القاهرة، وأن فتحهم لها لم يكن لكسب أراضٍ جديدة لدولتهم، وإنما لتكون مستقرا لهم ومركزا يهددون به الخلافة العباسية. (1)

وصل المعز إلى القاهرة في 7 رمضان 362هـ= 11 يونيو 972م، وأقام في القصر الذي بناه جوهر، وفي اليوم الثاني خرج لاستقبال مهنئيه وأصبحت القاهرة منذ ذلك الحين مقرا للخلافة الفاطمية، وانقطعت تبعيتها للخلافة العباسية السنية.

قضى المعز لدين الله القسم الأكبر من خلافته في المغرب، ولم يبق في مصر إلا نحو 3 سنوات، ولكنها كانت ذات تأثير في حياة دولته، فقد نجح في نقل مركز دولته إلى القاهرة، وأقام حكومة قوية أحدثت انقلابا في المظاهر الدينية والثقافية والاجتماعية في مصر، ولا تزال بعض آثاره تطل علينا حتى الآن، وجعل من مصر قلبا للعالم الإسلامي ومركزا لنشر دعوته الإسماعيلية والتطلع إلى التوسع وبسط النفوذ.

---

(1) عمران، محمود سعيد ، معالم التاريخ الإسلامي الوسيط ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربيَّة ، بيروت – لبنان ، 1998 ، ص 166.

وقد قامت القاهرة بعد ذلك بدورها القيادي حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية في الوقوف أمام المد الصليبي وهجمات المغول، وهو ما يثبت أن العالم الإسلامي كان بحاجة إلى مركز متوسط للقيام بمثل هذه الأدوار، وهذا ما تنبه إليه الفاطميون وأثبتته أحداث التاريخ من قديم الزمان؛ حيث كانت الإسكندرية تشغله في العصر الروماني البيزنطي.

ولم تطل الحياة بالمعز في القاهرة ليشهد ثمار ما أنجزته يداه، لكن حسبه أنه نجح في الانتقال بدولته من المغرب التي كانت تنهكها ثورات البربر المتتالية، ولم تدع له فرصة لالتقاط أنفاسها حتى تكون مستقرا جديدا للتوسع والاستمرار، وأنه أول خليفة فاطمي يحكم دولته من القاهرة، عاصمته الجديدة.

أرسل المعز جيشه بقيادة جوهر الصقلي في حروب ضد قبائل المغرب وأمويي الأندلس .كما أكدت غاراته على إيطاليا سيادة الفاطميين على البحر المتوسط على حساب البيزنطيين .وتوفي الخليفة المعز لدين الله في القاهرة في 16 ربيع الثاني 365 هـ 23/ديسمبر 9755 م.[1]

وقد حارب المعز القرامطة وجرّد لهم الجيوش إلى أن استطاع إبعادهم إلى شرق الجزيرة العربية بعيداً عن مكة وجوارها، ويذكر التاريخ أن عدة مراسلات نشأت بين الطرفين، ولكن أشهرها هي رسالة المعز التي نورد مقتطفاً منها أدناه:

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد: بسم الله الرحمن الرحيم رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة والأنبياء ومسالك الرسل والأوصياء السالف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا أولى الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار وسالف الأزمان والأعصار عند قيامهم بأحكام الله وانتصابهم لأمر الله الابتداء بالإعذار

(1) أمين ، محمود حُسين ، بنو ملاعب في التاريخ ، الطبعة الأولى ، دار الروضة ، بيروت – لُبنان ، 1998م ، ص 26 - 27.

والانتهاء بالإنذار قبل إنفاذ الأقدار في أهل الشقاق والأصار لتكون الحجة على من خالف وعصى والعقوبة على من باين وغوى حسب ما قال الله جل وعز: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً."[1]

وقد اتخذ الفاطميون – بعد ان استقر سلطانهم فى مصر – وسائل مختلفة فى معاملة سكانها من الطوائف الدينية والعناصر الأجنبية، فركزوا اهتمامهم فى تحويل المصريين السنين الى الذهب الشيعى ، لكنهم لم ينجحوا فى ذللافت السبيل ، فظل المذهب السنى محتفظا ببعض مظاهر قوته فى مصر، أما فيما يتعلق بأهل الذمة، فإن الفاطميين قربوهم إليهم وأحاطوهم برعايتهم وتسامحهم بعد أن أيقنوا من تعلر اعتماد هم على السنيين[2]، غير أنهم لم يتمسكوا طيلة عهدهم بهذه السياسة، فكثيرا ما اضطروا الى العدول عنها، ولم يعمل الفاطميون على مجافاة العناصر الأجنبية، بل ساروا على طريقة العباسيين فى الاستعانة بهم، وكان لتزايد عددهم وتنافس طوائفهم أثر سيى فى حالة مصر الداخلية. و كانت مصر فى مستهل العصر الفاطمى مختل مكانا مرمسوقا بين الدول المعاصرة لها وتنعم بالرخاء والاستقرار، غير أن الأحداث التى طرأت على هذه البلاد منذ أواخر القرن الخامس الهجرى أضعفت من شأنها، فقد اضمحل سلطان الخلافة الفاطمية وأخسذ نفوذ الوزراء فى الازدياد ، واصبح فى أيديهم امر تعيين الخلفاء وعزلهم ، بل انصرف بعضهم عن الاحستفاظ بمظاهر المذهب الفاطمى [3]، وحاول البعض الآخر إحياء المذهب السنى. كما تنافس كبار رجال الحكومة الفاطمية على منصب الوزراء ؛ وأستعان بعض الطامعين فى هذا المنصب بأمراء

(1) مُصطفى ، شاكر ، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، الجُزء الأوَّل ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين، بيروت – لُبنان ، 1993 ، ص352.
(2) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٩٥ ، ص 31 .
(3) محمد جمال الدين سرور ، المصدر السابق ، ص 31 .

المبحث الثاني

(طبيعة خلافته ، الخلافة العباسية ، الامارات المجاورة ، احوال البلاد)

طبيعة خلافته:-

كانت الخلافةُ الفاطميَّة خلافةً مذهبيَّةً شيعيَّةً شعارها الإمامة الدينيَّة، و كان لهذه الصفة المذهبيَّة أثرها في صوغ كثير من النظم و الرسوم التي اختصت بها. كان نظامُ الحُكم في ظل الخلافة الفاطميَّة، كما كان في سائر الدول الإسلاميَّة الأُخرى، خلال العصور الوسطى مُنذُ انقضاء الخلافة الراشدة، نظامًا مُطلقًا يستأثرُ فيه الخليفة بجميع السُلطات الرُوحيَّة والزمنيَّة، وقد سارت الخِلافة الفاطميَّة على هذا النحو منذ قيامها بالمغرب، ثمَّ بعد ذلك مُنذ قيامها بمصر، فكان الخليفة الفاطميّ، هو الدولة، وهو صاحب السُلطات المُطلق. وكانت نظريَّة الحُكم الفاطميَّة تقُومُ على المبدأ القائل: «إنَّ طاعة الإمام جامعة للمُلوك والرَّعايا، والرَّعايا تجمع الأعطاء والطَّاعة، وإنَّ الوزير يجمع السياسة والجباية، والجباية جامعة للوُزراء والعُمَّال، وأن الملك يجمع الطاعة والسياسة، والعاملُ يجمع الجباية والأعطاء، وإنَّ الأعطاء جامعٌ للعُمَّال والرعايا، وإنَّ السياسة مُشتركة [1].«يتضح من ذلك أنَّ الأمام هو رئيس الدولة الأعلى، وقد يكون هو الإمام الروحيّ والملكُ الزمني معًا، وقد يكون تحت رياسته ملوكٌ آخرون، يُدينون له بالطاعة الدينيَّة والدُنيويَّة، وهو الحاكم المُطلق، ومن تحته تتدرجُ السُلطات من أعلى إلى أسفل[2] انطلاقًا من هذا، فإنَّ الخليفة الفاطميّ كان يحكُمُ حُكمًا مُطلقًا، مثل الخُلفاء الأُمويين والعبَّاسيين قبله، لكنَّهُ تميَّز عنهم بالهالة الدينيَّة المُعظَّمة التي فاقت تلك الهالة التي أحاطها العبَّاسيون بالخليفة، فالأخيرة ظهرت لظروفٍ سياسيَّة، بينما

---

(1) ابن الأثير ، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشَّيباني ، تحقيق: أبو الفداء عبدُ الله القاضي، الكامل في التاريخ، الجزء السَّابع ، الطبعة الأولى ، دار الكُتب العلميَّة ، بيروت – لُبنان ، 1987م ، ص 333.

(2)ابن الأثير ، المصدر السابق ، بيروت – لُبنان ، 1987م ، ص 333.

قداسة الخليفة عند الفاطميين أصلٌ من أُصول الإيمان، فالخليفةُ الفاطميُّ هو في الوقت نفسه إمام المذهب الإسماعيلي، وهو معصومٌ عن الخطأ وِفق المُعتقد الشيعي، وهو قائمُ الزمان، وقيامه يرجع إلى مشيئة الله [1].واتخذ الفاطميّون ألقابًا تعكسُ مكانتهم وأحقيَّتهم في حُكم المُسلمين كلقب «إمام» و«صاحب الزمان» و«السُلطان الشريف»، بالإضافة إلى لقب» أمير المؤمنين «الذي كان مُرادفًا للقب الخليفة منذ عهد عُمر بن الخطَّاب، كما أنَّهم حرصوا على إضافة نعوتهم الخاصة إلى لفظ الجلالة كما فعل العبَّاسيّون قبلهم، فكان الخليفة الفاطميّ يتلقب بألقاب مثل: «المُعز لدين الله»، و«العزيز بالله»... وما إلى ذلك .وقال ابن خلكان» :سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنَ المِصْرِيِّينَ يَقُوْلُوْنَ إنَّ هَؤلَاءِ القَوْمَ فِي أَوَائِلِ دَوْلَتِهِم قَالُوا لِبَعْضِ العُلَمَاءِ: "اُكْتُبْ لَنَا وَرَقَةً تَذْكُرُ فِيْهَا أَلْقَابًا تَصْلُحُ لِلخُلَفَاءَ"، حَتَّى إذَا تَوَلَّى وَاحِدٌ لَقَّبُوهُ بِبَعْضِ تِلْكَ الأَلْقَابِ، فَكَتَبَ لَهُمُ أَلْقَابًا كَثِيْرَةً .«وسار الخُلفاء الفاطميّون على نظام الحُكم الوراثي بتفويضٍ من الله ، كما كان حالُ الخُلفاء العبَّاسيين ، وكان قصرُ الخِلافة الفاطميّ يقعُ في منطقة خان الخليلي بشارع بين القصرين المُعاصر.[2] دُفن عددٌ من أئمَّة الإسماعيليَّة والخُلفاء الفاطميين فيمسجد الإمام الحُسين بالقاهرة، وتحديدًا من الإمام التاسع التقي مُحمَّد إلى الإمام العُشرون والخليفة العاشر منصور الآمر بأحكام الله، وذلك في موضع يُقال له «باب مُخلفات الرسول» حيثُ يُعتقد أنَّ بعضًا من شعر رأس الرسول مُحمَّد قد حُفظ، وحيثُ قيل أنَّ رأس الإمام الحُسين بن عليّ قد نُقل.[3]

---

(1) الأنطاكي ، يحيى بن سعيد بن يحيى ، تحقيق: عُمر عبد السَّلام تدمُريّ ، تاريخ الأنطاكي ، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، الطبعة الأولى ، جروس برس للنشر ، طرابلس – لُبنان ، 1990 ، ص 326.

(2) أبو العباس ، أحمد بن محمد بن أحمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب للنشر ، القاهرة ، 1940 .

(3) ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 .

الخليفة المعز والتنظيمات الادارية والاقتصادية في مصر :

لما استقر سلطان العرب في مصر سنة 20 هـ (641 هـ) [1]، أبقوا على الأنظمة القائمة بها واكتفوا بشغل بعض المناصب الرئيسية ليشرفوا بأنفسهم على الإدارة فكان الخليفة يعين في مصر والياً على مثله ، يعرف بامير مصر.

وكان الوالى يؤم المسلمين فى صلاة الجمع والأعياد بوصفه نائبا عن الخليفة، ويعهد إليه فى بعض الأحيان جباية الخراج، وأحيانا يعين الخليفة عاملا مستقلا عن الوالى للقيام بهذا العمل يعرف بعامل الخراج". كذلك كان من مهام والى مصر الإشراف على شئون الخامية المقيمة بها وقيادة الجيوش لصد غارات الأعداء عنها، ولتامين حدودها، فقاد عمرو بن العاص الحملات لفتح برقة وطرابلس، كما خرج عبدالله بن سعد بن ابى سرح آثناء ولايته على مصر، على رأس الحملات التى سارت لغزو إفريقية والنوبة".

كان الحلفاء الراشدون والأمويون يسندون ولاية مصر إلى ولاة من العرب، وقد تمتع هؤلاء الولاة فى عهد الأمويين بشىء من الاستقلال، فكانوا لا يرجعون للخليفة إلا فى الأمور الهامة ؛ فولى معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص صلاة مصر وخراجها وجعلها طعمة له بعد النفقة على إدارتها وتوزيع العطاء [2].

(1) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٩٥ ، ص 37 .
(2) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، المصدر السابق ، ص 37 .

الاحوال السياسية واتخاذ مصر مقرا للخلافة الفاطمية :

شرع جوهر الصقلى منذ أن وضع أساس مدينة القاهرة فى التمهيد لاتخاذها حاضرة للخلافة الفاطمية، فأمر بحذف الدعوة لخلفاء بنى العباس التى كانت تقام بمساجد مصر وأقامها للخليفة المعز، وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمى" بدلا من اسم الخليفة العباسى، وعلى أحد وجهيها: ادعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد لا ، وفى السطر الثانى : المعز لدين الله أمير المؤمنين"، وفى السطر الثالث : «ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ؛ وعلى الوجه الآخر: "لا باله بالا الله، محمد رسول الله، ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، عليا افضل الوصين وزير خير المرسلين).[1]

كذللاک منع مجوهر الناس من لباس السواد شعار العباسين، وزيد فى اخطبة العبارة الاتية" : "اللهم صل على محمد النبى المصطفى، و على على المرتضى، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً، اللهم صل على الأئمة الراشدين، آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين، كما امر جوهر بان يؤذن فى جميع المساجد بحى على خير العمل"، وهى من العبارات التى يتميز بها الأذان عند الشيعيين، ولم تلبث هذه التغييرات الدينية التى أدخلها جوهر الصقلى رغبة فى نشر الدعوة الفاطمية أن لقيت كثيرا من النجاح مما سر القائد جوهر ، فبعث للمعز يخبره بما لقيته دعوته من تأييد.[2]

أصبحت ولاية مصر بعد قدوم المعز إليها دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة تابعة للخلفاء الفاطميين فى بلاد المغرب ، كما حلت القاهرة محل المنصورية، وغدت عاصمة للدولة الفاطمية، على أن انتقال المعز إلى مصر كان له أثره فى بلاد المغرب

(1) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٩٥ ، ص 69 .
(2) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، المصدر السابق ، ص 69 .

إذ ضعف نفوذ الفاطميين فى هذه البلاد واستقل بولاياتها بعض الأمراء. ولم يأت متصف القرن الخامس الهجري حتى تقلص منها الحكم الفاطمى، وكانت أمور ولاية مصر قد أسندها المعز إلى جوهر بعد الفتح، فأقر الوزير جعفر ابن الفرات فى منصبه، كما أبقى على الموظفين ألمصريين فى وظائفهم وأشرك مع كل موظف مصرى موظفا آخر من المغاربة"، وصار جوهر يشرف على إدارة الدواوين وجباية الخراج حتى أوائل سنة ٢٦٢ هـ حيث تسلم المعز منه دواوين مصر وجباية أموالها والنظر فى أحوالها.[1]

وهكذا استأثر المعز بالنفوذ والسلطان فى مصر، ولم يشأ أن يترك لجوهر من السلطة ما بسساعده على الاستيل اثار بالحكم، بل آبقاه بجانبه بيشير عليه بما تطلبه أحوال البلاد، وما لبث أن صرفه عن بعض المناصب الإدارية وأسندها إلى يعقوب ابن وعسلوج كلس بن الحسن"، وبذلك فقد جوهر ما كان يتمتع به من نفوذ.[2]

(1) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٩٥ ، ص 71 .
[2] محمد جمال الدين سرور ، المصدر السابق ، ص 71 .

العلاقات مع دُول الجوار:-

مع الدولة الحمدانيَّة:-

كـان الحمـدانيّون، وهُـم سُـلالة عربيَّـة شـيعيَّة اثنـا عشـريَّة،(1) يحكُمـون الجزيـرة الفُراتيَّة وشمال الشَّام بحُلول زمن الفتح الفاطمي لِمصر، واتخذوا من حلب عاصمةً لهم. ولمَّا سقطت الدولـة الإخشـيديَّة بمصـر وبسـط الفـاطميّون حُكمهـم علـى القسـم الجنوبي من الشَّام بما فيه فلسطين ودمشق ولُبنان، توجَّس الحمدانيّون خوفًا من التمدد الفـاطميّ شـمالًا، رُغـم أنَّ أُمـراء بنـي حمـدان كـانوا يُقيمـون الخِطبـة للخليفـة الفـاطميّ في حِمص وحلب، ويرفعون الأذان «بحيَّ على خير العمل مُحمَّد وعليّ خيرُ البشر»، إلَّا أنَّهم عارضوا الوُجود الفاطميّ في بلادهم، لذلك كثيرًا ما ساعدوا القرامطة في حربهم ضدَّ الفاطميين، كما ساعدوا أفتكين التُركي، أحد موالي مُعزّ الدولة أحمد بن بويه، الذي حالف الخُلفاء العبَّاسيين لاحقًا، في حربه ضدَّ الفاطميين، لمَّا تغلَّب عليهم وبسط نُفوذه على الشَّام سنة364 هـ المُوافقة لِسنة975 م (2).ولمَّا حاول الفاطميّون مدَّ حُكمهم إلى شمال الشَّام، وقف أميرُ حلب «سعدُ الدولة أبو المعالي شريف الحمداني» في وجههم، فلم يخسر سوى حِمص التي انضمَّ واليها الحمداني إلى الفاطميين .ولمَّا توفي سعد الدولة، خلفه ابنه «أبو الفضائل سعيد الدولة»، فرأى الفاطميّون أنَّ الوقت قد حان لضمِّ بقيَّة الدولة الحمدانيَّة إلى دولتهم، فأرسلوا جيشًا كبيرًا لتحقيق هدفهم. فلم يكن من سعيد الدولة إلَّا أن استنجد بالبيزنطيين الذين كانوا يُعاملونه على أساس مُعاهدة صُلح عُقدت بينهما. وقد لبّى قيصر الروم الإمبراطور يوحنَّا الأوَّل زمسكيس، الشهير «بابن الشمشقيق» طلبه وأرسل إليه نجدة

(1) ابن النديم ، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان ، الفهرست ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، دار المعرفة. 1994 ، ص 233.

(2) ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966 .

كبيـرة، مُغتنمًـا الفُرصـة أيضًـا ليُحقـق سياسـة سـلفه الإمبراطـور نقفـور الثـاني فوقاس القاضية باسترجاع الأراضـي المُقدَّسة من أيدي المُسلمين [1].وقد بقيت حلب عصيَّةً على الفاطميين حتّى توفي سعيد الدولة يوم 15 صَفَر 392هـ المُوافق فيه 3 كانون الثاني (يناير) 10022م، فخلفهُ مولاه لؤلؤ الخادم السيفي، ولمَّا توفي هذا الأخير في آخر ذي الحجَّة سنة 399هـ المُوافق فيه 27 تمّوز (يوليو) 1009م، اعترف ابنه وخليفته منصور بسُلطان الخليفة الفاطميّ، فأقام الدَّعوة له في حلب. وفي وقتٍ لاحق، عيَّن الحاكم بأمر الله عزيز الدولة فاتك أميرًا على حلب، ولقَّبهُ بأمير الأُمراء، ليكون بذلك أوَّل حاكمٍ فاطميٍّ على المدينة [2].لكنَّ الأخير سُرعان ما أخذ يسيرُ بإمارته نحو الاستقلال، وما لبث أن خرج عن طاعة الحاكم بأمر الله سنة 409هـ المُوافقة لِسنة 10188م، واستقلَّ بحُكم حلب وضرب النُقود باسمه ودعا لنفسهِ على المنابر [3].ولم يتمكَّن الحاكم بأمر الله من التفرُّغ لحلب بفعل ثورة الأهالي عليه في مصر والشَّام، غير أنَّه أمر بإعداد الجُيوش إلى المدينة، لكن حصل اختفائه بعد ذلك بوقتٍ قصير، فلم تُسيَّر العساكر الفاطميَّة إلى الشَّام. وبعد مقتل عزيز الدولة فاتك، استعاد الفاطميّون مدينة حلب وأخضعوها لحُكمهم طيلة ثماني سنوات، إلى أن سقطت بيد المرداسيين يوم السبت في 13 ذي القعدة415 هـ المُوافق فيه 18 كانون الثاني (يناير(1025 م [4].وبقيت حلب طيلة فترةٍ من الزمن تتأرجح بين الحُكم الفاطمي وحُكم أُمراء محليين إلى أن سقطت بيد السلاجقة في نهاية المطاف.

---

(1) الدليمي ، انتصار محمد صالح ، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300-366 هـ ، جامعة الموصل ، 2005 ، ص 912-976 م.

(2) المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بيت المغرب ، القاهرة ، 1940 .

(3) شاكر ، محمود ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، الجزء السَّادس ، الطبعة الثامنة ، القاهرة - مصر: المكتب الإسلامي ، 2000 ، ص 81 - 82.

(4) حسن ، إبراهيم حسن ، عُبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيليَّة ومؤسس الدولة الفاطميَّة في بلاد المغرب ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصريَّة ، القاهرة – مصر ، 1964 ، ص 211.

العلاقات مع الدولة العبَّاسيَّة.

شهدت العلاقة بين الدولتين الفاطمية والعبَّاسيَّة تباينًا واضحًا. اعتمدت قوة وضعف تلك العلاقة بين البلدين على مدى قوة تأثير البويهيين وسيطرتهم على الخلافة العبَّاسيَّة .ففي بداية عصر الدولة الفاطميَّة، كان البويهيون في أوج قوتهم وتحكّمهم في دولة الخلافة العبَّاسيَّة. وكان انتماء البويهيين للمذهب الشيعي الزيدي سببًا في التقارب بين الفاطميين والبويهيين، حيث سمح البويهيون لدُعاة الفاطميين بنشر عقائد الإسماعيليَّة في أماكن نفوذهم، بل واتجه تفكير معز الدولة البويهيلاستبدال الخلافة العبَّاسيَّة بالفاطميَّة، غير أنه تراجع عن تلك الفكرة خشية غدر الفاطميين به متى تمكنوا من الأمر [1].

غير أنه ومع ضعف دولة بني بويه، وتمكّن الخُلفاء العباسيَّون من التدخل في السياسة مُجددًا، ساءت العلاقات بين الفاطميين والعبَّاسيين. ففي سنة 382هـ، أوقف الخليفة العبَّاسي القادر بالله النواح والبكاء في بغداد في يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح .وفي سنة 398هـ، قمع القادر بالله تمردًا مسلحًا للشيعة في بغداد دعوا فيه لخلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي .وفي سنة 4011هـ، خلع حاكم الموصل طاعة الخليفة العباسي، ودعا للفاطميين، فأرسل القادر بالله جيشًا نجح في إعادة الموصل إلى طاعة العبَّاسيين .كما أصدر القادر بالله سنة 402هـ مرسومًا يطعن في نسب الفاطميين، ويحمل توقيع كبار الفقهاء ونقيبي الطالبيين الأشراف الشريف الرضي والشريف المرتضى .ظل ذلك العداء مستدامًا حتى نهاية دولة بني بويه بدخول طُغرل بك السُلجوقي بغداد سنة 447هـ [2]

---

(1) ابن الأثير، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشِّيباني ، تحقيق : أبو الفداء عبدُ الله القاضي (الكامل في التاريخ، الجزء التاسع ، الطبعة الأولى ، دار الكُتب العلميَّة ، بيروت – لُبنان ، 1987م ، ص 6144 - 615.

(2) ابن الأثير، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشِّيباني ، تحقيق : أبو الفداء عبدُ الله القاضي (الكامل في التاريخ، الجزء التاسع ، الطبعة الأولى ، دار الكُتب العلميَّة ، بيروت – لُبنان ، 1987م ، ص 742.

مع الدولة السُلجوقيَّة:-

بعد أن أسقط السلاجقة السنيون دولة بني بويه الشيعية، سادت حالة من الاستياء في مصر الفاطمية، واتجهت سياسة الفاطميين لدعم ثورة أبي الحارث أرسلان البساسيري ماديًا، فتمكن من هزيمة جيش العباسيين في سنجار عام 449 هـ، ثم دخل بغداد عام 450 هـ مستغلاً خروج طغرل بك إلى الموصل لإنهاء تمرد أخيه إبراهيم ينال .حينئذ، أجبر البساسيري الخليفة العباسي القائم بأمر الله على كتابة عهد يقر بأحقية الفاطميين في الخلافة دون العباسيين، وخُطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في بغداد. لم يطل الأمر كثيرًا، فبمجرد عودة طغرل بك من قتال أخيه، حتى هزم البساسيري وقتله وأعاد للخليفة العباسي مكانته [1].

وفي عام 463 هـ، قرر السلطان ألب أرسلان غزو حلب، فرأى أميرها الشيعي محمود بن مرداس الموالي للفاطميين خلع طاعة الفاطميين، وأقام الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان. غير أن ألب أرسلان أصر على أن يكون الأذان على مذهب أهل السنة، فامتنع ابن مرداس عن ذلك، فضرب ألب أرسلان الحصار على حلب، إلى أن يأس ابن مرداس وسلّم لألب أرسلان، ليخسر بذلك الفاطميون ظهيرًا شيعيًا حال بينهم وبين السلاجقة.[179] وفي العام نفسه، استطاع أتسز بن أوق الخوارزمي ضم الرملة وبيت المقدس من أيدي الفاطميين، بينما صمدت دمشق أمام حصار السلاجقة [2].

وفي عام 468 هـ، استطاع أتسز الخوارزمي دخول دمشق، وعيّن السلطان ملكشاه أخاه تتش حاكمًا عليها لتتأسس دولة سلاجقة الشام، وتدخل المواجهة

---

(1) الدشراوي ، فرحات ، ترجمة حمَّادي الساحليّ ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، الطبعة الأولى ، بيروت – لُبنان ، دار الغرب الإسلامي للنشر ، 1994 ، ص 319.

(2) لويس، برنارد ، تحقيق خليل أحمد خليل ، أُصول الإسماعيليَّة والفاطميَّة والقُرمُطيَّة ، الطبعة الثالثة ، بيروت – لُبنان ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، 1993 ، ص 33.

المباشرة مع الفاطميين .وفي عام 491 هـ، نجح الأفضل شاهنشاه في استعادة بيت المقدس إلى مُلك الفاطميين، غير أن لم يدم طويلاً، ففي العام التالي سقطت المدينة في أيدي الصليبيين لتنتقل المواجهة المباشرة مع الفاطميين هذه المرة إلى عدوهم الجديد الصليبيين.[1]

دخلت العلاقات البيزنطيَّة – الفاطميَّة مرحلة التأزُّم مُنذ أن فتح الفاطميّون جزيرة صقلية، وتمكنوا من دحر الروم وبسط سيطرتهم على البحر المُتوسِّط، فانزوى الروم في موقفٍ دفاعيٍّ ضد الفاطميين. وحاول الخليفة عُبيد الله المهدي أن يدعم موقفه في مُواجهة البيزنطيين عبر عقد تحالفٍ مع البلغار، خُصوم بيزنطة، فزارت بعثة دبلوماسيَّة بِلاط الخليفة في مدينة المهديَّة، ولكن سفينتهم، وبرفقتها السُفراء الفاطميّون، وقعت في أسر الروم أثناء رجوعها إلى بلادها، فأُجهض مشروع التحالف .وفي منتصف القرن الرابع الهجري، تزامنت توسعات البيزنطيين على حساب الحمدانيين جنوبًا مع توسعات الفاطميين في الشام شمالاً والتي بلغت دمشق. وفي سنة 3844هـ، حاصرت قوات العزيز بالله الفاطميّ عاصمة الحمدانيين حلب لمُدَّة 13 شهرًا، فلجأ أميرها أبو الفضائل بن سعد الدولة الحمداني للاستنجاد بالإمبراطور باسيل الثاني البيزنطي فأمده بجيش، إلا أنه هُزم أمام جيش الفاطميين، فأثار ذلك باسيل، فتوجه بنفسه للشام لقتال الفاطميين. كان جيش الفاطميين قد انسحب قبل ذلك إلى دمشق لنقص المؤن، فاكتسح البيزنطيون الأراضي حتى بلغوا طرابلس ثم قفلوا عائدين إلى القُسطنطينيَّة .غضب العزيز وخرج بجيشه يريد قتال البيزنطيين، إلا أنه توفي في الطريق سنة 386هـ.[2]

---

(1) لويس ، برنارد ، تحقيق خليل أحمد خليل ، أُصول الإسماعيليَّة والفاطميَّة والقُرمُطيَّة ، الطبعة الثالثة ، بيروت – لُبنان ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، 1993 ، ص 34 .

(2) ابن خلدون ، أبو زيد عبدُ الرحمٰن مُحمَّد بن مُحمَّد ، تحقيق: خليل شحادة وسُهيل زكَّار 1988م .(كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تاريخ ابن خلدون ، الجزء الرَّابع ، الطبعة الثانية ، بيروت – لُبنان ، دار الفكر ، ص 62 - 63.

وفي عهد الحاكم بأمر الله، دارت معركتان بين الفاطميين والبيزنطيين، الأولى بحرية في صور سنة 388هـ، والثانية برية بالقرب من أنطاكية، انتهتا بانتصار الفاطميين، مما دفع البيزنطيين إلى طلب الصلح، وعقدت هدنة لعشر سنين بين الدولتين .وفي عهد الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، دبت الفوضى في الشَّام، فأغار البيزنطيون على الشَّام، فلجأ الظاهر إلى إبرام هدنة مع الإمبراطور قسطنطين الثامن يعيد الظاهر بموجبها بناء كنيسة القيامة التي هدمها الحاكم بأمر الله الفاطمي، ويُجدد قسطنطين الثامن بناء جامع القسطنطينية الذي كان مُسلمة بن عبدُ الملك قد بناه سنة 96هـ المُوافقة لِسنة 714م بعد حصاره للقُسطنطينيَّة، وأن تقام الخِطبة في الجامع للخليفة الفاطمي .

وفي سنة 446هـ أثناء الشدة المستنصرية، أرسل المُستنصر الفاطمي إلى ثيودورا الثالثة إمبراطورة بيزنطة يدعوها إلى إسعاف مصر بالغلال، فاشترطت أن يكون مُقابل ذلك أن يدعمها المُستنصر بالجند في حالة تعرضت لثورة داخلية، وهو ما رفضه المُستنصر، ولم يتم الاتفاق. غضب المُستنصر وجرّد جيشًا أغار على أعمال أنطاكية، فبعثت بيزنطة بثمانين سفينة هزمت الفاطميين، وأُسر قائد جيشهم،[1] فطلب المُستنصر الهدنة. ومع بدأ الحروب الصليبية، انقطعت الصلات المباشرة بين الدولتين، بعد أن تباعدت مناطق نفوذ الدولتين بعد تكوّن الإمارات الصليبية.

(1) ابن عذاري المُرَّاكشي ، أبو عبدُ الله مُحمَّد بن مُحمَّد ، تحقيق ومُراجعة: كولان وليڤي بروڤنسال ، البيان المُغرِّب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1 ، الطبعة الخامسة ، بيروت – لُبنان ، دار الثقافة ، 1995 ، ص 125.

المبحث الثالث

(احوال البلاد ، السياسة ، الحياة الاقتصادية ، الاحوال الاجتماعية)

احوال البلاد:-

انفجر الصراع بين الأغالبة والدَّاعي أبي عبد الله بسبب موقف حاكم مدينة ميلة من الدعوة الإسماعيليَّة في أرض كتامة. وكانت ميلة تحت حُكم موسى بن عيَّاش الذي اشتهر بعدائه لأبي عبد الله الشيعي، خشيةً على مركزه، وشارك في جميع المؤامرات التي حاكها الأغالبة للتخلُّص منه. وكانت ميلة المذكورة تُشكِّلُ مركزًا عربيًّا في قلب بلاد كتامة البربريَّة، وكانت الأُسر الحاكمة العربيَّة في المغرب تُوالي السُلطة المركزيَّة في بغداد، لذلك كانت أوَّل عائق أمام انطلاق الدعوة إلى الخارج، ولا بُدَّ من تذليلها، فشنَّ عليها الداعي حربًا وانتصر على حاميتها العسكريَّة، ودخلها خلال شهر ذي القعدة من سنة289 هـ، المُوافق فيه شهر تشرين الأوَّل (أكتوبر) سنة 902م، وولّى عليها أبا يُوسُف ماكنون بن ضُبارة الأجاني. وهكذا سقطت أوَّل مدينة أغلبيَّة مُحصَّنة في يد الدَّاعي. لكن سُرعان ما استعادها الأغالبة مُجددًا، بعد أن هزموا جيش الدَّاعي في بلدة «ملوسة.«[50] وخلال شهر رجب سنة290 هـ المُوافق فيه شهر حُزيران (يونيو903 (م، اشتبك الأغالبة مع الإسماعيليين في معركةٍ قاسية حالف النصر فيها أبا عبدُ الله، وتراجع الجيش الأغلبيّ بعد الهزيمة إلى سطيف، وفي أوائل سنة 291هـ، المُوافقة لأواخر سنة 903م، استأنف الدَّاعي عمليَّاته العسكريَّة، فاستولى على سطيف، وهي أقرب مدينة مُحصَّنة من إيكجان بعد ميلة، وكانت مدينةً مُعرقلةً لتحرُّكاته العسكريَّة، وتُمثِّلُ قاعدةً لقوَّات العدو.[1] وفي آخر شهر ذي الحجَّة سنة 293هـ، المُوافق فيه شهر تشرين الأوَّل (أكتوبر) سنة 9066م، استولى أبو عبد الله على مدينة

(1)الدشراوي ، فرحات ، ترجمة حمَّادي الساحليّ ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، الطبعة الأولى ، بيروت – لُبنان ، دار الغرب الإسلامي للنشر ، 1994 ، ص 319.

«طُبنة» في طرف إفريقية، وهي قاعدة نهر الزَّاب الكبير، وإحدى أكبر وأغنى المُدن الأغلبيَّة بعد القيروان، وعيَّن عليها عاملًا شيعيًّا هو يحيى بن سُليمان، كما فتح بلزمة.[1] وبسقوط هاتين المدينتين، نجح الإسماعيليّون في فتح ثغرة في الحُصون الغربيَّة التي تحمي إفريقية، ولم يبقَ منها سوى حصن باغاية في أقصى إفريقية بين مجَّانة وقسنطينة،[53] الذي يؤدي إلى داخل البلاد، ولا بُدَّ من مُهاجمته. وفي سنة 296هـ المُوافقة لِسنة 9088م، هاجم الدَّاعي وجُنوده وأتباعه الحصن المذكور واستولوا عليه، ثُمَّ تحرَّكوا قاصدين الأربس وهزموا الجيش الأغلبيّ هزيمةً قاصمة ودخلوا المدينة عنوةً، فاستولى الهلع على أمير إفريقية أبو مُضر زيادة الله الثالث وكِبار رجال دولته وأصحاب الدواوين والمواليوالعبيد، فانسحبوا إلى القيروان وسوسة وبعض المُدن الأُخرى .ولمَّا وصلت أخبار هروب زيادة الله الثالث، وما حصل في دولته من الفوضى، إلى مسامع أبي عبد الله الشيعي، تحرَّك بسُرعةٍ باتجاه القيروان ورقَّادة واستولى عليهما، وأبطل ذِكر إسم الخليفة العبَّاسي في خِطبة الجُمعة . وبهذا زالت الدولة الأغلبيَّة وبالتالي سُلطة العبَّاسيين الإسميَّة والفعليَّة عن هذه البلاد، ودخلت إفريقية في مرحلةٍ جديدةٍ من تاريخها.[2]

لتوسّع والفُتوحات:-

بعد أن استقرَّت أمور الفاطميين في إفريقية، أرادوا توسيع دولتهم لتضمَّ المغرب الأقصى) مُرَّاكش(، وقد تمكنوا من بسط سيطرتهم على معظم أنحائه بعد نزاعٍ مع حكَّامه الأدارسة، إذ تمكن القائد الفاطمي» موسى بن أبي العافية «من هزيمتهم سنة 312هـ. وقد تمرَّد بن أبي عافية على الفاطميّين بعد فتح المغرب، وحوَّل ولاءه

(1) ابن عذاري المُرَّاكشي، أبو عبدُ الله مُحمَّد بن مُحمَّد؛ تحقيق ومُراجعة: كولان وليفي بروفنسال (1995 .(البيان المُغرِّب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأوَّل) الطبعة الخامسة). بيروت - لُبنان: دار الثقافة. صفحة 149.
(2)ابن الأثير، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشَّيباني ، تحقيق : أبو الفداء عبدُ الله القاضي ، الكامل في التاريخ، الجزء التاسع ، الطبعة الأولى ، دار الكُتب العلميَّة ، بيروت – لُبنان ، 1987م ، ص 597.

إلى عبدُ الرحمٰن الناصر لدين الله أمير الأندلس الأمويّ، لكن عُبيد الله المهدي أرسل ابنه «أبا القاسم» سنة 3155هـ فتمكَّن هذا الأخير من استعادة سيطرة الفاطميّين على المغرب [1].اضطرَ ُ الفاطميون لاحقاً لخوض حروبٍ كثيرة مع الخوارج بالمغرب، فقد ثار عليهم خارجيٌّ يدعى «أبا زيد» انتشرت ثورته انتشارًا كبيرًا، وتوفيَّ خلال أيام هذه الثورة عبيد الله، فورث عنه حكم دولة الفاطميين ابنها لقائم بأمر الله، واستمرَّ بمحاربة الخوارج، لكنه توفي سنة 334هـ دون تمكِّنه من هزيمتهم. فخلفه ابنه المنصور بالله الذي تمكَّن أخيرًا من القضاء على ثورة أبي يزيد في سنة 336هـ، وأسَّس مدينة «المنصوريَّة» بإفريقية ليجعلها عاصمة الفاطميين. توفي الخليفة المنصور سنة 341هـ، فخلفه ابنه المعز لدين الله، رابع الخلفاء الفاطميّين وأحد أهم حُكامَّ الدولة الفاطمية.[2]

السياسة:-

كانت الوزارة في العهد الفاطميّ الأوَّل وزارة تنفيذ لأنَّ السُلطات كُلَّها كانت بيد الخليفة. ولم يكن الوُزراء إلَّا مُعاونين للخليفة يُنفذون سياسته وأوامره. أمَّا في العهد الفاطميّ المُتأخر، فقد زاد نُفوذُ الوُزراء وأصبحت لهم كلمةٌ في تسيير الأمور واتخاذ القرارات [3].ولعلَّ أهم ما يُمَيز منصب الوزارة في العصر الفاطميّ هو أن الكثير من وزراء الفاطميين كانوا من النصارى واليهود، مثل : عيسى بن نسطورس، ويعقوب بن كلس، وعسلوج بن الحسن .وخِلال النصف الثاني من العصر الفاطميّ تغلَّب الوُزراء وسيطروا على شؤون الدولة كُلَّها، وسلبوا الخُلفاء كُلَّ سُلطانٍ ونُفوذِ، حتَّى أطلق البعض

(1) الأنطاكي ، يحيى بن سعيد بن يحيى ، تحقيق: عُمر عبد السَّلام تدمُريّ ، تاريخ الأنطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، الطبعة الأولى ، جروس برس ، طرابلس – لُبنان ، 1990 ، ص 65.
(2) أمين، محمود حُسين ، بنو ملاعب في التاريخ ، الطبعة الأولى ، دار الروضة ، بيروت ، 1998 ، ص 40 - 41.
(3) محمد كمال شبانة ، الدويلات الإسلامية في المغرب: دراسة تاريخية حضارية ، الطبعة الأولى ، دار العالم العربي ، القاهرة – مصر ، 2008م ، ص 145.

على هذا العصر اسم «عصر الوزراء العظام [1].«وبلغ من نُفوذ الوزراء في ذلك العصر أن غلب سُلطانهم على سُلطان الخُلفاء بشكلٍ عام، وزاد نُفوذ الوُزراء حتَّى أنَّهم كانوا يُعينون بعض الخُلفاء ويعزلونهم، بل ويتآمرون عليهم، كما إتخذوا ألقابًا كلقب «الملك» وألقاباً أُخرى تفيد مزيدًا من التفضيل مثل «الأكمل» و«الأفضل» و«الأشرف»، وأصبحت الوزارة أهم وظائف الدولة وأكبرها، حيثُ تضاءلت إلى جانبها وظيفة الخليفة. وأوَّل هؤلاء الوُزراء كان بدرُ الدين الجمالي، الذي جمع بين إمارة الجيش والوزارة، وكان الآمر الناهي في الدولة ما عدا في الشؤون الدينيَّة[2].

الاحوال الاقتصادية:-

الفاطميّ الذي استمرَّ قرنين من الزمن .لكنَّ نورُ الدين أصرَّ على تابعه أن يفعل ذلك في سبيل تحقيق الوحدة الإسلاميَّة والاستفادة من إمكانات مصر الاقتصاديَّة والبشريَّة في الجهاد ضدَّ الصليبيين، وأرسل إليه إنذارًا نهائيًّا في شهر ذي الحجَّة سنة 566هـ المُوافق فيه شهر آب (أغسطس) سنة 11711م يأمُرهُ بإسقاط الخِطبة للخليفة الفاطميّ العاضد، وإقامتها للخليفة العبَّاسيّ أبو مُحمَّد الحسن بن يُوسُف المُستضيء بأمر الله، وألزمهُ إلزامًا لا فُسحة له في مُخالفته [3].ورأى صلاحُ الدين أن يستجيب لطلب سيِّده في دمشق نظرًا لأنَّ الغالبيَّة العُظمى من سُكَّان مصر لم تتشيَّع، ولأنَّ الدولة الفاطميَّة أصبح من الواضح أنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولم يعد لديها القدرة على التحرُّك بعد القضاء على الجُند السودان. وجاءت الخُطوة الحاسمة يوم 7 مُحرَّم سنة 567هـ المُوافق فيه 10 أيلول (سبتمبر) سنة 1171م، عندما قطع صلاحُ الدين الخِطبة بمصر للخليفة الفاطمي وأقامها للخليفة العبَّاسي، وأعاد السَّواد شعارُ العبَّاسيين .وقد تمَّ هذا التحوّل بهُدوء تام، وبذلك عادت مصر إلى كنف

---

(1)أمين، محمود حُسين ، بنو ملاعب في التاريخ ، الطبعة الأولى ، دار الروضة ، بيروت ، 1998 ، ص 46.

(2) الكرماني ، أحمد بن حميدُ الدّين بن عبدُ الله؛ تحقيق مُصطفى غالب ، راحة العقل ، الطبعة الثانية ، بيروت – لُبنان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1983 ، ص 84.

(3)الكرماني ، أحمد بن حميدُ الدّين بن عبدُ الله؛ تحقيق مُصطفى غالب ، راحة العقل ، الطبعة الثانية ، بيروت – لُبنان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1983 ، ص 138.

الدولة العبَّاسيَّة، وأُعيدت الوحدة المذهبيَّة في الشرق الأدنى .وكان العاضد لدين الله أثناء ذلك مريضًا يحتضر، فلم يشأ صلاحُ الدين إزعاجه ومُضاعفه همّه، فأمر رجاله بألَّا ينهوا إليه بالأنباء [1].ولم تكد تمضي أيَّام على قطع الخِطبة للفاطميين حتّى توفي الخليفة العاضد لدين الله، فكانت تلك نهاية الدولة الفاطميَّة فعليًّا، فزالت من الحياة السياسيَّة بعد أن دامت 2622 سنة.

الاحوال الاجتماعية:-

أدى تأسيس الدولة الفاطميَّة إلى ظهور خلافةٍ جديدة في العالم الإسلامي، تتبع المذهب الشيعيّ عوضًا عن المذهب السنُّي الذي كانت تتبعه الدولة العباسية، وبالتالي فقد ظهر منصب قاضي قضاةٍ جديدٍ بين المسلمين يوازي قاضي بغداد، إلا أنَّه يتبع المذهب الإسماعيلي ويستند إليه في أحكامه عوضًا عن الحنفيّ .وكان يستقرُّ قاضي القضاة عادةً في الجامع الأزهر الذي بناه الفاطميُّون بعد فتحهم لمصر مباشرة .كان أول قاضي قضاةٍ فاطمي هو النعمان بن محمَّد الذي عيَّنه الخليفة المعز لدين الله، وقد كان أول من يؤسِّس نظامًا قضائيًّا بالدولة الفاطمية .عندما كانت لدى المواطنين مظالم على أمرٍ ما، فإنَّهم كانوا يتجهون إلى حاجب الخليفة، فينظر الحاجب في المظالم، فإذا كانت صغيرةً فإنَّه يحولها إلى قضاة أو ولاة الدولة، أما إن كانت غير ذلك فإنَّه يجمعها ويعرضها على الخليفة. أما الأحكام الشرعيَّة فإنها تؤول إلى قاضي القضاة ليحكم فيها، والذي كان يمثِّل أعلى سلطةٍ قضائيَّة في الدولة. كما كان يوجد منصبٌ يلي قاضي القضاة مباشرة في أهميَّته وقوته، هو داعي الدُّعاة اندثر المذهب الإسماعيليُّ في مصر مع زوال الدولة الفاطمية، وزال معه منصب قاضي القضاة بمصر وسائر المؤسَّسة القضائية الفاطمية.[2]

---

(1)الأنطاكي ، يحيى بن سعيد بن يحيى ، تحقيق: عُمر عبد السَّلام تدمُريّ ، تاريخ الأنطاكي ، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، الطبعة الأولى ، جروس برس للنشر ، طرابلس – لُبنان ، 1990 ، ص 252.

(2) ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمالُ الدين يُوسُف بن الأمير سيفُ الدين؛ قدَّم له وعلَّق عليه: مُحمَّد حُسين شمسُ الدين ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الرَّابع ، الطبعة الأولى ، القاهرة - مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب. 1992م ، ص 178.

الخاتمة:-

لقد تناولنا في بحثنا هذا شخصية المعز لدين الله التي كانت من أبرز الشخصيات في تاريخ الدعوة الإسماعيلية عامّة وتاريخ الدولة الفاطمية خاصة. وقد كان يعتبر من أعظم خلفاء الفاطميين لأنه قام بتوطيد سيادة الدولة على جميع أرجاء الشمال الإفريقي وتوسيع رقعتها حتى بلغت من أول الديار المصرية إلى المغرب الأقصى. ونلخص ابرز ما استنتجنا من بحثنا هذا :-

1. ان المعز لدين الله قد حول أنظاره إلى مصر في أخريات أيام خلافته وجهز أبا الحسن جوهرا قائدًا للخروج إليها بالجيش الكثيف والأموال الوفيرة.

2. كان فتح الديار المصرية على يد القائد جوهر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

3. ان انتقال المعز لدين الله من المغرب إلى العاصمة الجديدة التي تنسب إليه ، فتسمّى القاهرة المعزية، لأن الذي بناها له هو القائد جوهر، فصارت مصر دار الخلافة الفاطمية للقرنين التاليين.

4. انتشرت الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس واليمن وفي الهند. ويعدّ عصر المعز من أزهى العصور للدولة الفاطمية وكان حافلاً بمظاهر القوة والعظمة.

5. ويعتبر توغل جيوشه في بلاد الشام وهدّدت بغداد ، عاصمة العباسيين في ذلك الحين، أحسست الدولة العبّاسية بالخطر على نفسها انذاك.

6. استطاع المعز لدين الله أن ينظم هذا الملك الواسع بما سنه من النظم الإدارية الحازمة. ولم يكتف بذلك ، بل نهض بالجانب العلمي والأدبي والثقافي حتى أصبحت العاصمة المنصورية في المغرب، ثم القاهرة في مصر، كعبة للعلماء والشعراء وطلاب العلم والمستجيبين للدعوة الإسماعيلية.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير ، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشِّيباني ، تحقيق: أبو الفداء عبدُ الله القاضي، الكامل في التاريخ، الجزء السَّابع ، الطبعة الأولى ، دار الكُتب العلميَّة ، بيروت – لُبنان ، 1987م.
2. ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966 .
3. ابن النديم ، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان ، الفهرست ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، دار المعرفة. 1994.
4. ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمالُ الدين يُوسُف بن الأمير سيفُ الدين ، قدَّم له وعلَّق عليه ، مُحمَّد حُسين شمسُ الدين ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ، القاهرة - مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب ، 1992م.
5. ابن خلدون ، أبو زيد عبدُ الرحمٰن مُحمَّد بن مُحمَّد ، تحقيق: خليل شحادة وسُهيل زكَّار 1988م .(كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تاريخ ابن خلدون ، الجزء الرَّابع ، الطبعة الثانية ، بيروت – لُبنان ، دار الفكر.
6. ابن عذاري المُرَّاكشي ، أبو عبدُ الله مُحمَّد بن مُحمَّد ، تحقيق ومُراجعة: كولان وليڤي بروڤنسال ، البيان المُغرِّب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1 ، الطبعة الخامسة ، بيروت – لُبنان ، دار الثقافة ، 1995.
7. ابن فهد ، عُمر بن مُحمَّد المكّي ، تقديم حُسين فيَّض الله الهمذاني ، نسب الخُلفاء الفاطميين ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، القاهرة – مصر ، 1958.
8. أبو العباس ، أحمد بن محمد بن أحمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب للنشر ، القاهرة ، 1940 .
9. اسماعيل قربان حسين ، ادعية الايام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، دار المغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2006 .
10. أمين، محمود حُسين ، بنو ملاعب في التاريخ ، الطبعة الأولى ، دار الروضة ، بيروت ، 1998.
11. الأنطاكي ، يحيى بن سعيد بن يحيى ، تحقيق: عُمر عبد السَّلام تدمُريّ ، تاريخ الأنطاكي ، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، الطبعة الأولى ، جروس برس للنشر ، طرابلس – لُبنان ، 1990.
12. أيمن فؤاد السيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية للنشر ، القاهرة ، 1992م .
13. جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف للنشر ، القاهرة ، 1967م .

14. حسن ، إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ، المعز لدين الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964م.
15. الدشراوي، فرحات ، ترجمة: حمَّادي السَّاحليّ ، الخلافة الفاطميَّة بالمغرب ، الطبعة الأولى، بيروت - لُبنان: دار الغرب الإسلامي ، 1994 .
16. الدليمي ، انتصار محمد صالح ، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300-366 هـ ، جامعة الموصل ، 2005 .
17. شاكر ، محمود ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، الجزء السَّادس ، الطبعة الثامنة ، القاهرة - مصر: المكتب الإسلامي ، 2000 .
18. شبارو، عصام محمد ، الدولة العربيَّة الإسلاميَّة الأولى ، الطبعة 3 ، دار النهضة العربيَّة ، بيروت-لبنان ، 1995م .
19. الشهرستاني ، مُحمَّد عبدُ الكريم ، تحقيق عبدُ العزيز مُحمَّد الوكيل ، الملل والنحل ، الجزء الثاني ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، 1968 .
20. عمران، محمود سعيد ، معالم التاريخ الإسلامي الوسيط ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربيَّة ، بيروت – لُبنان ، 1998 .
21. الكرماني ، أحمد بن حميدُ الدّين بن عبدُ اللّه؛ تحقيق مُصطفى غالب ، راحة العقل ، الطبعة الثانية ، بيروت – لُبنان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1983 .
22. لويس، برنارد ، تحقيق خليل أحمد خليل ، أُصول الإسماعيليَّة والفاطميَّة والقُرمُطيَّة ، الطبعة الثالثة ، بيروت – لُبنان ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، 1993 .
23. محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٩٥.
24. محمد كمال شبانة ، الدويلات الإسلامية في المغرب: دراسة تاريخية حضارية ، الطبعة الأولى ، دار العالم العربي ، القاهرة – مصر ، 2008م .
25. مُصطفى ، شاكر ، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، الجُزء الأوَّل ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين، بيروت – لُبنان ، 1993.
26. المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بيت المغرب ، القاهرة ، 1940 .